

(د) وقيل : إن اللغات السبع ترجع إلى كعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة لتجاورهما فى المنزل .

قال أبو عبيد : وكذلك يُحدِّثون عن سعيد بن أبى عروبة ^(١) ، عن قتادة ^(٢) ، عن سمع ابن عباس يقول : أنزل القرآن بلغة الكعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .
وقال أبو شامة : والكعبان : كعب بن لؤى من قريش ، وكعب بن عمرو من خزاعة .

* * *

● وجه تخصيص لغات تلك القبائل :

وقد أوضح ابن عطية وجه تخصيص لغات تلك القبائل فقال : « فأصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبى عليه السلام قرشى ، واسترضع فى بنى سعد ، ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وعقت قمامه وهو يخالط فى اللسان كنانه ، وهذيل ، وثقيف ، وخزاعة ، وأسد ، وضبة ، وألفافها لقربهم من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تيمم ، وقيس ، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب ، فلما بعثه الله تعالى وسرَّ عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة ، وهى التى قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهى اختلافاتها فى العبارات حسبما تقدم .. وهذه الجملة هى التى انتهت إليها

(١) سعيد بن أبى عروبة العدوى ، أبو النظر البصرى ، إمام أهل البصرة فى زمانه ، تغبَّر مذهبه بآخر عمره ، ورُمى بالقدر - له مؤلفات ، توفى سنة ١٥٦ هـ على خلاف (تهذيب التهذيب ٦٣ / ٤ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٨٧) .

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسى ، البصرى الضرير الأكمه ، حافظ مفسر عالم بالعربية - ت ١١٨ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١) .

الفصاحة ، وسلمت لغاتها من الدخيل ، ويسرّها الله لذلك ليُظهر آية نبيه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه ، وسبب سلامتها أنها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تطرقها الأمم ، فأما اليمن وهى جنوبى الجزيرة فأفسدت كلام عربيه خلطه الحبشة والهنود ، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا العباس المبرد ، قد ذكرا أن عرب اليمن من القبائل التى نزل القرآن بلسانها .. وأما ما والى العراق من جزيرة العرب ، وهى بلاد ربيعة ، وشرقى الجزيرة فأفسدت لُغتها مخالطة الفُرس والنبط ونصارى الحيرة ، وغير ذلك .

وأما الذى يلى الشام ، وهو شمالى الجزيرة ، وهى بلاد آل جفنة ، وابن الرافلة ، وغيرهم ، فأفسدها مخالطة الروم ، وكثير من بنى إسرائيل .

وأما غربى الجزيرة فهى جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللُغات ، لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم .. فمعنى قول النبى ﷺ : « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف » أى فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأنصح والأوجز فى اللفظة .. فأباح الله تعالى لنبيه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الإعجاز وجودة الوصف (١) .

* * *

● ماتدل عليه النصوص بعامة وما جاء عن لغة قريش بخاصة :

وأياً كان الاختلاف فى معرفة اللُغات السبع بعينها باعتبارها الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، فإن دراسة النصوص الواردة فى ذلك ، وفيما يناقضاها فى الظاهر من نزول القرآن بلُغة قريش تدل على أربعة أمور :

(١) مقدمة تفسير المحرر الوجيز ١ / ٢٧ وما بعدها .

أحدها : أن اللغات السبع ليست بالضرورة فى كل كلمة من القرآن ، أو فى كلمة بعينها ، بل حيث يوجد فى لغات العرب تفاوت فى الألفاظ الدالة على معنى واحد ينزل القرآن باللغات السبع أو ببعضها ، وحيث لا يوجد فلا .

ثانيها : أن بعض هذه اللغات كان أشهر من بعض ، وأعلاها لغة قريش ، والشأن فيها جميعاً أن تكون من اللغات الأكثر انتشاراً وذبوعاً .

ثالثها : أن القراءة بهذه اللغات كانت على سبيل الاختيار عند الصحابة ، حتى يسهل على كُلٍّ أن يقرأ بما تيسر له .

رابعها : أن اللغات السبع - أى الأحرف السبعة على ما سبق - انتهت بجمع عثمان رضى الله عنه المصحف على حرف واحد قطعاً لدابر الخلاف .

وعلى هذا يُحمل ما كتب به عمر إلى ابن مسعود رضى الله عنهما ، قال بعضهم : الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب ، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرؤه بلغاتهم التى جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم ، ولأن العربى إذا فارق لغته التى طبعَ عليها يدخل عليه الحمية من ذلك ، فتأخذه العزة ، فجعلهم يقرؤونه على عاداتهم وطباعهم ولغاتهم منا منه عز وجل ، لئلا يكلفهم ما يشق عليهم ، فيتباعدوا عن الإذعان ، وكان الأصل على ما عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ والإعراب جميعاً مع اتفاق المعنى ، فمن أجل ذلك جاء فى القرآن مخالفة ألفاظ المصحف المُجمَع عليه ، كالصوف ، وهو « العِهن » (١) ،

(١) القارعة : ٥ - وقراءة « الصوف » لعبد الله بن مسعود ، جاء فى البخارى : وقرأ عبد الله - يعنى ابن مسعود : « كالصوف » (فتح البارى ٨ / ٧٢٨) وفى الكشف للزمخشري : وقرأ ابن مسعود : « كالصوف » .

وزقية ، وهى : « صيحة » ^(١) ، وحططنا وهى : « رضعنا » ^(٢) ، وحطب جهنم ، وهى : « حصب » ^(٣) ، ونحو ذلك ، فقبضَ رسول الله ﷺ وكل رجل منهم متمسك بما أجاز له صلى الله عليه وسلم ، وإن كان مخالفاً لقراءة صاحبه فى اللفظ ، وعوّل المهاجرون والأنصار ومن تبعهم على العرضة الأخيرة التى عرضها رسول الله ﷺ على جبريل فى العام الذى قبضَ فيه . وذلك أن النبى ﷺ كان يعرض عليه فى كل سنة مرة جميع ما أنزلَ عليه فيها إلا فى السنة التى قبضَ فيها فإنه عرض عليه مرتين .

قال أبو شامة : « وهذا كلام مستقيم حسن ، وتتمته أن يقال : أباح الله تعالى أن يُقرأ على سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن . ومن ادعى ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وتوارد الألفاظ توسيعاً على العباد ، ولهذا كان النبى ﷺ يقول ما أرجح إليه أن يقرأ على حرفين وثلاثة : « عوّل على أمتى » على ما سبق ذكره فى أبوابنا . ولما انتهى إلى سبعة رقت . وكأنه صلى الله عليه وسلم عنه أنه لا يحتاج من العامة لقراءة أكثر من ذلك عابثاً . والله أعلم .

إن أبو شامة بهذا الكلام يبرر .

(١) - أن نزول القرآن على سبعة أحرف كان لئلا يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن ، لا فى كل لفظ من ألفاظه .

(١) الآية ٢٩ من سورة يس . وفى الكشف : « وقرأ ابن مسعود : إلا » زقية واحدة « من زقا الظاهر يزقو ويزقى : إذا صاح » .

(٢) الآية ٢ من سورة الشرح ، وفى الكشف : « وقرأ أنس : وحططنا وحططنا ، وقرأ ابن مسعود : وحطنا هناك وقرأ » .

(٣) الآية ٦٨ من سورة الأنبياء . ونسب ابن جرير الطبري إلى تفسير هذه الآية ما ليس من أبي خاتم وعائشة ١٧ / ٦٤ .

(٤) التوشة الوجيز ص ٩٦ .

٢ - وأن هذا يرجع إلى اختلاف اللغات وتوارد الألفاظ توسيعاً على العباد .

٣ - وأن رسول الله ﷺ انتهى في طلبه إلى سبعة أحرف لعلمه بأن أمته على اختلاف لغات العرب لا تحتاج في لفظة من ألفاظ القرآن إلى أكثر من ذلك .

أما ما روي من أن القرآن أنزل بلسان قريش فإنه يحمل على أحد وجهين جمعاً بين الروايات :

أحدهما : أن يكون المراد بذلك أن القرآن نزل في الابداء بلسانهم ، ثم أبيع بعد ذلك أن يقرأ بسبعة أحرف .

والثانيهما : أن معظم القرآن نزل بلسانهم ، فإذا وقع الاختلاف في كلمة فوطئها على سبعة لسان قريش أو على لسان غيره .

وكان سبباً سائغاً قيل جميع الصحابة المصحف حتى يسهل على الأمة حفظ القرآن ، يحفظ كل بمقتضى ، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم بعد أن ظهر الاختلاف في القراءة وكثر خلط القرآن أدركوا أن القراءة على حرف من أحرف السبعة كانت رخصة ، ولا الأمر بتفسير القراءة ، أما وقد كثر الحفظ فإنه لم يعد هناك حاجة لهذه الرخصة ، ولا سبيل لتجاوز الاختلاف إلا بجمع الناس على حرف واحد ، وهذا هو ما كلفه الله عثمان رضي الله عنه ، فحلسم مادة الخلاف بنسخ القرآن على النسخة التي به في لغة قريش دون التلخيص المرادف له ، وفق ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد أن عارضه به جبريل في تلك السنة مرتين ، وأجمع الصحابة معه على ذلك ، وأصبحت القراءة قاصرة على ما وافق رسم المصحف في جميع عثمان ، وما علنا ذلك فهو قراءة شاذة .

ورجح عن ابن عباس رضي الله عنه وعن غيره أنه قال : « إن القراءة لله » .

قال البيهقي معلقاً على ذلك : أراد أن اتباع مَنْ قبلنا فى الحروف سنة متبعة ، لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التى هى مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغاً فى اللغة ، أو أظهر منها .

قال أبو بكر بن العربى : سقط جميع اللغات والقراءات إلا ما ثبت فى المصحف بإجماع من الصحابة ، وما أُذِنَ فيه قبل ذلك ارتفع وذهب ، والله أعلم (١) .

وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون فى القرآن كلمة تُقرأ على سبعة أوجه ، فقال : « وليس يوجد فى كتاب الله تعالى حرف قرئ على سبعة أوجه يصح فيما أعلم » (٢) .

ورد عليه ابن الأنبارى (٣) بمثل : ﴿ عَبْدَ الطَّاغُوتِ ﴾ (٤) (المائدة : ٦٠)

(١) المرشد الوجيز ص ٩٠ (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦

(٣) محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر الأنبارى البغدادى ، من كتبه : « إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل » و « عجائب علوم القرآن » - توفى سنة ٣٢٨ هـ (بغية الوعاة ص ٩١) .

(٤) فيه عشر قراءات : ١ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » على فعل ونصب « الطَّاغُوتِ » ، ٢ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » بفتح العين وضم الباء وفتح الدال وخفض « الطَّاغُوتِ » وهما فى السبعة ، ٣ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » بضم العين والباء وفتح الدال وخفض « الطَّاغُوتِ » ، ٤ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » بضم العين وفتح الباء وتشديدها وفتح الدال وخفض « الطَّاغُوتِ » ، ٥ - « وَعَبَادُ الطَّاغُوتِ » بضم العين وتشديد الباء وألف بعدها وفتح الدال وخفض « الطَّاغُوتِ » ، ٦ - « وَعِبَادُ الطَّاغُوتِ » بكسر العين وألف بعد الباء المفتوحة وفتح الدال وخفض « الطَّاغُوتِ » ، ٧ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » مبنياً للمجهول ، ٨ - « وَعَابِدُ الطَّاغُوتِ » اسم الفاعل ، ٩ - « وعبدوا الطَّاغُوتِ » بواو ، ١٠ - « وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ » بضم العين وفتح الباء والدال وخفض « الطَّاغُوتِ » .

انظر : « المحتسب » لأبى الفتح عثمان بن جنى - ت ٣٩٢ هـ (١ / ٢١٤ دار سركين للطباعة والنشر) .

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ﴾ (١) (الإسراء: ٢٣)، ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ (٢) (البقرة: ٩٧، ٩٨، التحريم: ٤)، و ﴿ يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ ﴾ (٣) (يوسف: ١٢).

قال أبو شامة: « وقال القتيبي: لا نعرف في القرآن حرفاً يُقرأ على سبعة أحرف، وقال ابن الأنباري: هذا غلط، فقد وُجدَ في القرآن حروف تُقرأ على سبعة أحرف، منها قوله تعالى: ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ ﴾ (٥) وذكر وجوهاً. كأنه يذهب في تأويل الحديث إلى أن بعض القرآن أُنزلَ على سبعة أحرف، لا كله ».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلام ابن الأنباري ينصرف إلى الاختلاف في وجوه النطق، لا إلى الاختلاف في الألفاظ مع اتفاق المعنى، وعامة وجوه القراءات في الأمثلة التي ذكرها تتفاوت في الاشتقاق والإعراب، ومادة الكلمة واحدة.

* * *

● الرأي الثالث في المراد بالأحرف السبعة:

ذكر بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة أنواع سبعة، والقائلون بهذا اختلفوا في تعيين السبعة:

فقليل: أمر، ونهى، وحلال، وحرام، ومُحَكَّم، ومُتَشَابِه، وأمثال.
وقليل: أمر، ونهى، ووعد، ووعيد، وجدل، وقصص، ومُثَل.

(١) قال الزمخشري: « وقري: » « أف » بالحركات الثلاث منوناً وغير منون « (الكشاف ٢ / ٥١٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة، وذكر أبو حيان (محمد بن يوسف - ت ٧٥٤ هـ) سبع قراءات، اتفق في ست منها مع الزمخشري (محمود بن عمر - ت ٥٢٨ هـ) « أف » و « أف » و « أفا » و « أف » و « أف » و « أف » (البحر المحيط ٦ / ٢٧، مكتبة النصر الحديثية).
(٢) قري: « جبريل » و « جبريل » و « جبرائيل » و « جبرئيل » و « جبرئيل » و « جبرائيل »
بياءين (المحتسب ٩٧ / ١) و « جبرال » و « جبرين » و « جبرين » (البحر المحيط ١ / ٣١٧).
(٣) قري: « يرتفع ويلعب » و « يربع ويلعب » و « يربع ويلعب » (المحتسب ١ / ٣٣٣)
و « نرتع ونلعب » بالنون، و « نرتع ونلعب » و « نربع ونلعب » (البحر المحيط ٥ / ٢٨٥).
(٤) المائدة: ٦.
(٥) يوسف: ١٢.

قال أبو شامة ^(١) : ذهب قوم في قول النبي ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إلى أنها سبعة أنحاء وأصناف ، فمنها زاجر ، ومنها أمر ، ومنها حلال ، ومنها حرام ، ومنها مُحْكَم ، ومنها مُتَشَابِه ، واحتجوا بحديث يرويه سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ^(٢) ، عن ابن مسعود ^(٣) ، عن النبي ﷺ : « كان الكتاب الأول أنزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وأمر وحلال وحرام ومُحْكَم ومُتَشَابِه وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمُحْكَمِهِ ، وآمنوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وقولوا آمنا به ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » ^(٤) .

وروى ابن جرير عن أبي قلابة ^(٥) قال : « بلغني أن النبي ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل » ^(٦) .

وقال القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : وقال فريق

(١) المرشد الوجيز ص ١٠٧

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل : اسمه كنيته ، تابعي - توفي سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ١١٥/١٢) وابنه سلمة ترجمته في لسان الميزان ٦٨/٢

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، من كبار الصحابة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وإمام في العلم وتحقيق القرآن وترتيبه مع حسن الصوت - ت ٣٢ هـ (غاية النهاية ٤٥٨/١ ، والإصابة ٢ / ٣٦٨) .

(٤) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ١ / ٦٨ ، وابن عبد البر في كتابه التمهيد ٤ / ٦٢٠ ، وانظر المرشد الوجيز ص ١٠٧

(٥) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي ، أبو قلابة البصري ، تابعي ، ثقة ، كثير الحديث - توفي سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢٤) .

(٦) تفسير الطبري ١ / ٦٩

من العلماء : إن المراد بالسبعة الأحرف معانى كتاب الله تعالى : وهى : أمر ، ونهى ، واعد ، ووعد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال » (١) .

وقريب من هذا ما ذكره القاضى أبو بكر بن الطيب (٢) أن أبياً رضى الله عنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يا أبى ، إني أقرئت القرآن على حرف أو حرفين ، ثم زادني الملك ، حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت : غفور رحيم ، سميع عليم ، أو عليم حكيم ، وكذلك ما لم تختتم عذاباً برحمة ، أو رحمة بعذاب » (٣) .

وهذا اختصار لحديث رواه أبو داود (٤) عن أبي بن كعب (٥) قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبى : إني أقرئت القرآن ، فقال لى : على حرف ؟ فقال الملك الذى معى : قل على حرفين ، قلت : على حرفين ، فقل لى : على حرفين ، فقال الملك الذى معى : قل على ثلاث ، فقلت : على ثلاث ، حتى بلغت سبعة أحرف ، ثم قال : ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت سميعاً عليم ، عزيزاً حكيم ، ما لم تختتم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب » (٦) .

وروى البيهقى فى السنن الكبرى نحوه (٧) .

(١) المحرر الوجيز ١ / ٢١ ، ٢٢

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر الباقلاوى ، من كبار علماء الكلام ، وانتهت اليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة ، من كتبه : « التمهيد » و « اعجاز القرآن » و « كشف أسرار الباطنية » - ت ٤٠٣ هـ (وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٩) . (٣) المحرر الوجيز ١ / ٢٣

(٤) أبو داود السجستانى الحافظ - سليمان بن الأشعث ، صاحب السنن وإمام أهل الحديث فى عصره - ت ٢٧٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩) .

(٥) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد ، الصحابى الأنصارى ، من كتّاب الوحي ، وقرأ القرآن - توفي سنة ٣٠ هـ (غاية النهاية ١ / ٣١ ، والإصابة ١ / ١٩ ، وتهذيب التهذيب ١ / ٨٧) .

(٦) سنن أبى داود ٢ / ١٧ ، ط . دار الجليل - بيروت .

(٧) انظر : المرشد الوجيز ص ٨٧

وعلقَ القاضى أبو بكر الباقلانى على ذلك فقال : « وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التى هى وجوه وطرائق ، وغير السبعة التى هى قراءات وُوسِعَ فيها ، وإنما هى سبعة أوجه من أسماء الله تعالى » (١) .

وفسرَ البيهقى هذا فقال : « أما الأخبار التى وردت فى إجازة قراءة » غفور رحيم « بدل » عليم حكيم « فلأن جميع ذلك مما نزل به الوحي ، فإذا قرأ ذلك فى غير موضعه فكأنه قرأ آية من سورة ، وآية من سورة أخرى ، فلا يَأثم بقراءتها كذلك ، ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة ، ولا آية رحمة بآية عذاب » (٢) .

ولا ينبغي أن يُحمل ما جاء فى هذه الرواية على أنه يجوز للناس أن يُبدّلوا اسماً لله فى موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه ، فإن الوقوف عند اللفظ القرآنى المتواتر واجب ، وغاية ما فى الحديث أن أسماء الله تعالى وردت على أوجه فى مواضع متعددة بالقرآن الكريم .

ولذا اعتبر ابن عبد البر آخر الحديث مفسراً لأوله فقال : « إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها ، أنها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون فى شئ منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده » (٣) .

ومن ذلك القبيل ما ذهب إليه بعضهم من أن المراد : علم القرآن يشتمل على سبعة أشياء :

(٢) انظر : المرشد الوجيز ص ٨٩

(١) انظر المحرر الوجيز ١ / ٢٣

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ)

علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (٣) .

وعلم التنزيه كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٥) .

وعلم صفات الذات كقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ (٧) .

وعلم صفات الفعل كقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٩) ، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (١٠) ، وقوله : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ (١١) .

وعلم العفو والعذاب ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١٢) ، وقوله : ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَنْتَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (١٣) .

وعلم الحشر والحساب ، كقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ (١٤) ، وقوله : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١٥) .

(١) البقرة : ١٦٤ ، آل عمران : ١٩ .	(٢) الاخلاص : ١	(٣) البقرة : ١٦٣
(٤) النحل : ١٧	(٥) الشورى : ١١	(٦) المنافقون : ٨
(٧) الجمعة : ١	(٨) النساء : ٣٦	(٩) النساء : ١
(١٠) البقرة : ٤٣	(١١) آل عمران : ١٣ .	(١٢) آل عمران : ١٣٥
(١٣) الحجر : ٤٩ - ٥٠	(١٤) غافر : ٥٩	(١٥) الاسراء : ١٤

وعلم النبوت كقوله : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (١) ، وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ (٢) .

وعلم الإمامات كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ (٤) وقوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (٥) ، (٦) .

ويبدو من هذه النماذج أن المقصود ضرب المثل بما يمكن أن تحمل عليه الأحرف السبعة ، على أن المراد بها المعانى والوجوه والأنواع ، وليس المراد الحصر ، فهى سبعة أنواع .

وحرص علماء كل فن على أن يجعلوا هذا متصلاً بفنهم .

فيقول الفقهاء : المراد المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والنص ، والمؤول ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسر ، والمحكم والمتشابه ، والاستثناء وأقسامه .

ويقول أهل اللغة : المراد الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والقلب والاستعارة ، والتكرار والكناية ، والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمفسر ، والظاهر والغريب .

ويقول النحاة : إنها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى ، وما لا يختلف فى الأداء واللفظ جميعاً .

(٣) النساء : ٥٩

(٢) إبراهيم : ٤

(١) النساء : ١٦٥

(٥) آل عمران : ١١٠

(٤) النساء : ١١٥

(٦) البرهان فى علوم القرآن ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥

ويقول القراء : إنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها ، من إظهار وإدغام ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد وقصر ، وتخفيف وتلين ، وتشديد .

ويقول الصوفية : إنها الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة ^(١) .

وهذه الأقوال يحرص فيها أصحاب كل علم على أن يرفعوا من مكانة علمهم ، واصطلاحات فنيهم ، فيحملون الأحرف السبعة على وجوه العلم لديهم ، وهى أقوال لا سند لها من الأثر ، ولا وجه لها من النظر ، والدافع لها عصبية أهل الفن لفنيهم ، واعتزازهم به ، وتقوية أواصره بالقرآن الكريم اعتزازاً بعلمهم .

* * *

● الرأى الرابع فى المراد بالأحرف السبعة :

وذهب جماعة إلى أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغير السبعة التى وقع فيها الاختلاف ، وهى الوجوه التى ذكرها ابن قتيبة حيث قال : « وقد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه » ثم عدّها وضرب أمثلة لها ^(٢) . وأخذ كلام ابن قتيبة ونقّحه آخرون ، وحكى نظيره القرطبي ^(٣) عن القاضى أبى بكر الباقلانى ^(٤) ، ونقل هذه الوجوه كلها ابن الجزرى ^(٥) فى كتابه « النشر » ^(٥) .

(١) البرهان فى علوم القرآن ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦ (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨

(٣) محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى الخزرجى ، الأندلسى أبو عبد الله القرطبي ، من كبار المفسرين من أهل قرطبة ، من كتبه : « الجامع لأحكام القرآن » ويُعرف بتفسير القرطبي - توفى سنة ٦٧١ هـ (الديباج المذهب / ٣١٧) .

(٤) انظر تفسير القرطبي ١ / ٤٥

(٥) هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الشهير بابن الجزرى ، امام القرنين فى عصره ، أشهر مؤلفاته : « النشر فى القراءات العشر » و « غاية النهاية فى طبقات القراء » - ت ٨٣٣ هـ (طبقات الحفاظ للسيوطى ٣ / ٨٥) .

(٦) انظر « النشر فى القراءات العشر » بتحقيق على محمد الصباغ ، ط . مصطفى محمد

وهذه الوجوه التى يقع بها التغيرات هي :

١ - اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما : التثنية والجمع والتأنيث كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ^(١) قُرِئَ « لأماناتهم » بالجمع ، وقُرِئَ « لأمانتهم » بالإفراد ، ورسمها فى المصحف « لأمنتهم » يحتتمل القراءتين ، لخلوها من الألف الساكنة ، ومآل الوجهين فى المعنى واحد ، فإيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية ، وإيراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة ، أى جنس الأمانة ، وتحت هذا جزئيات كثيرة .

٢ - الاختلاف فى وجوه الإعراب : كقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ^(٢) ، قرأ الجمهور بالنصب على أن « ما » عاملة عمل « ليس » وهى لغة أهل الحجاز ، وبها نزل القرآن ، وقرأ ابن مسعود : « ما هذا بشرٌ » بالرفع على لغة بنى تميم ، فإنهم لا يعملون « ما » عمل « ليس » ^(٣) .

وكقوله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٤) ، برفع « آدم » ونصب تاء « كلمات » بالكسرة - وقُرِئَ بنصب « آدم » ورفع « كلمات » : « فتلقى آدم من ربه كلمات » .

٣ - الاختلاف فى التصريف : كقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٥) ، قُرِئَ بنصب « ربنا » على أنه منادى مضاف ، و « باعد »

(١) المؤمنون : ٨

(٢) يوسف : ٣١

(٣) يقول ابن جنى : « وذلك كإعمال أهل الحجاز » ما « النافية للحال ، وترك بنى تميم إعمالها ، وإجرائهم إياها مجرى « هل » ونحوها مما لا يعمل ، فكان أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول « ليس » عليهما ، ونافية للحال نفيها إياها ، أجروها فى الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها ، وكان بنى تميم لما رأوها حرفاً داخلاً بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ومباشرة لكل واحد من جزأيه ، كقولك : ما زيد أخوك ، وما قام زيد ، أجروها مجرى « هل » ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفي دخول « هل » عليها للاستفهام » (الخصائص ١ / ١٦٧) .

(٤) البقرة : ٣٧

(٥) سبأ : ١٩

بصيغة الأمر - وُقِرَى « رُبْنَا » بالرفع ، و « بَاعَدَ » بفتح العين ، على أنه فعل ماضٍ ، - وُقِرَى « بَعُدَ » بفتح العين مشددة ، مع رفع « رُبْنَا » أيضاً .

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف ، مثل : « يعلمون » و « تعلمون » بالياء والتاء ، و « الصراط » و « السراط » فى قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) .

٤ - الاختلاف بالتقديم والتأخير : إما فى الحرف ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنبَأْ » (٢) ، وُقِرَى : « أفلم يَأْبَسْ » - وإما فى الكلمة ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ » (٣) ، بالبناء للفاعل فى الأول ، وللمفعول فى الثانى ، وُقِرَى بالعكس ، أى بالبناء للمفعول فى الأول ، وللفاعل فى الثانى .

ومثل ابن قتيبة لهذا الوجه من الاختلاف بقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (٤) ، وُقِرَى : « وجاءت سكرة الحق بالموت » (٥) . وهى أوضح فى الاستدلال ، ولكنها قراءة آحادية أو شاذة ، لم تبلغ درجة التواتر .

٥ - الاختلاف بالإبدال : سواء أكان إبدال حرف بحرف ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ (٦) ، قُرِىَ بالزأى المعجمة مع ضم النون ، وُقِرَى بالراء المهملة مع فتح النون - أو إبدال لفظ بلفظ ، كقوله تعالى : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ (٧) ، وقرأ ابن مسعود وغيره « كالصوف المنفوش » - وقد يكون هذا الإبدال مع التقارب فى المخارج ، كقوله تعالى : ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٍ ﴾ (٨) ، وُقِرَى « طلع » ومخرج الحاء والعين واحد . فهما من حروف الحلق .

(٣) التوبة : ١١١

(٢) الرعد : ٣١

(١) الفاتحة : ٦

(٦) البقرة : ٢٥٩

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨

(٤) سورة ق : ١٩

(٨) الواقعة : ٢٩

(٧) القارة : ٥

٦ - الاختلاف بالزيادة والنقص : فالزيادة كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١) ، قُرِئَ « من تحتها الأنهار » بزيادة « من » وهما قراءتان متواترتان - والنقصان كقوله تعالى : « قالوا اتخذ الله ولداً » بدون واو ، وقراءة الجمهور : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (٢) بالواو - وقد يُمثَّل للزيادة فى قراءة الأحاد بقراءة ابن عباس « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » بزيادة « صالحة » وإبدال كلمة « أمام » بكلمة « وراء » ، وقراءة الجمهور : ﴿ وَكَانَ رَأَاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (٣) - كما يمثَّل للنقصان بقراءة ابن مسعود « والذكر والأنثى » بدلاً من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ (٤) .

٧ - اختلاف اللمجات بالتفخيم والترقيق والإمالة والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل والإشمام ونحو ذلك ، كإمالة وعدمها فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٥) ، قُرِئَ بِإِمَالَةٍ « أتى » و « موسى » - وترقيق الراء فى قوله : ﴿ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٦) ، وتفخيم اللام فى « الطلاق » ، وتسهيل الهمزة فى قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ (٧) - وإشمام الغين ضمة مع الكسر فى قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ (٨) ... وهكذا .

ولا يرى ابن الجزرى هذا من وجوه الاختلاف ، حيث يقول : « وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتحقيق والتسهيل والإبدال والنقل مما يُعبرُّ عنه بالأصول ،

(٣) الكهف : ٧٩

(٢) البقرة : ١١٦

(١) التوبة : ١٠٠

(٦) الإسراء : ١٧

(٥) طه : ٩

(٤) الليل : ٣

(٨) هود : ٤٤

(٧) المؤمنون : ١

فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لأن هذه نصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً » (١) .

وجاءت آراء قريبة من هذا رأى متداخلة معه على نهج آخر : اختار أبو على الأهوازي طريقة أخرى فقال : « قال بعضهم : معنى ذلك ، هو الاختلاف الواقع فى القرآن ، يجمع ذلك سبعة أوجه :

الجمع والتوحيد ، كقوله تعالى : « وكتبه » و « وكتابه » (٢) .

والتذكير والتأنيث ، كقوله تعالى : « لا يقبل » و « لا تقبل » (٣) .

والإعراب ، كقوله تعالى : « المجيد » و « المجيد » (٤) .

والتصريف ، كقوله تعالى : « يعرشون » و « يعرشون » (٥) .

والأدوات التى يتغير الإعراب لتغيرها ، كقوله تعالى : « ولكن الشياطين » و « ولكن الشياطين » (٦) .

والتلغات ، كالهمز ، وتركه ، والفتح ، والكسر ، والإسالة ، والتثخيم ،
والتخفيف ، والماء ، والتقصير ، والإدغام ، والإظهار ، والتغيير ، والتكثير ، والتقصير ، والتثاق

(١) السنن ١ / ٢٦ - ٢٧

(٢) البقرة : ٢٨٥ ، وقراءة حمزة والكسائي : « وكتابه » ، وقرأ الباقون : « وكتبه » والكلمة فى المصاحف يغير ألف فاحتملت القراءتين .

(٣) البقرة : ٤٨ - بالتاء : قراءة ابن كثير وأبى عمرو ، وبالياء : قراءة الباقين .

(٤) البروج : ١٥ - بالجر : فى قراءة حمزة والكسائي ، وبالرفع : فى قراءة الباقين من السبعة .

(٥) الأعراف : ١٣٧ ، والنحل : ٦٨ - بضم اللام : قراءة ابن عامر ، وبكسرها : قراءة الباقين .

(٦) البقرة : ١٠٢ - بتخفيف « لكن » و « ولكن » الشياطين » : فى قراءة ابن عامر وحسرة والكسائي ، وبتشديد « لكن » ونصب « الشياطين » : فى قراءة الباقين .

الخط ، كقوله تعالى : « ننشرها » و « ننشزها » ^(١) . ونحو ذلك ، قال :
وهذا القول أعدل الأقوال وأقربها لما قصدناه ، وأشبهه بالصواب .

ثم ذكر وجهاً آخر فقال : قال بعضهم : معنى ذلك سبعة معان فى القراءة :

أحدها : أن يكون الحرف له معنى واحد ، تختلف فيه قراءتان تخالفان بين
نقطة ونقطة مثل : « تعملون » و « يعملون » ^(٢) .

الثانى : أن يكون المعنى واحداً وهو بلفظتين مختلفتين ، مثل قوله تعالى :
« فاسعوا » و « فامضوا » ^(٣) .

والثالث : أن تكون القراءتان مختلفتين فى اللفظ إلا أن المعنيين متفرقان فى
الموصوف ، مثل قوله تعالى : « ملك » و « مالك » ^(٤) .

والرابع : أن تكون فى الحرف لُغتان ، والمعنى واحد ، وهجاؤهما واحد ، مثل
قوله تعالى : « الرشد » و « الرُشد » ^(٥) .

والخامس : أن يكون الحرف مهموزاً وغير مهموز ، مثل « النبىء »
و « النبى » .

(١) البقرة : ٢٥٩ - قرأ الكوفيون وابن عامر « ننشزها » بالزاي ، وقرأ الباقون بالراء .

(٢) البقرة : ٧٤ - قرأ ابن كثير بياء الغائب ، وقرأ الباقون ببناء الخطاب .

(٣) الجمعة : ٩ - قرأ على وعمر وابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب وابن عمر وابن الزبير :
« فامضوا » .

(٤) الفاتحة : ٤ - قرأ عاصم والكسائى : « مالك » بالألّف ، وقرأ الباقون بغير ألّف .

(٥) الأعراف : ١٤٦ ، قرأ حمزة والكسائى : « الرشد » بفتحين ، وقرأ الباقون : « الرُشد »
بضم الراء وإسكان الشين ، واتفقوا على قراءة « الرُشد » بضم الراء وإسكان الشين فى سورة
البقرة : ٢٥٦ والجن : ٢

والسادس : التثقيب والتخفيف ، مثل « الأكل » و « الأكل » (١) .

والسابع : الإثبات والحذف ، مثل « المنادى » و « المناد » (٢) .

قال أبو علي : وهذا معنى يضاهى معنى القول الأول الذى قبله ، وعليه اختلاف قراءة السبعة الأحرف .

وهذان الوجهان اللذان ذكرهما أبو علي الأهوازي نُسبًا إلى غيره :

أما الوجه الأول : فنسبه الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد (٣) إلى أبي طاهر بن أبي هاشم (٤) ، ثم قال عقيبه : « وهذا أقرب إلى الصواب إن شاء الله تعالى » قال : وقد روى عن مالك بن أنس (٥) أنه كان يذهب إلى هذا المعنى .

وقال أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأذفوى (٦) فى « كتاب الاستغناء فى

(١) الرعد : ٤ - قرأ نافع وابن كثير « الأكل » بتسكين الكاف تخفيفاً ، وقرأ الباقون « الأكل » بضمها .

(٢) سورة ق : ٤١ - قرأ ابن كثير ويعقوب « المنادى » بإثبات الياء فى الوقف والوصل ، وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو بإثباتها فى الوصل فقط ، وقرأ الباقون من العشرة « المناد » بحذف الياء فى الحالين .

(٣) الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد أبو العلاء الهمداني ، إمام فى علوم القرآن والنحو واللغة والأدب والحديث - ت ٥٦٩ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٠٤ ، بغية الوعاة ص ٢١٥) .

(٤) هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، أبو طاهر البغدادي عالم بحروف القرآن ووجوه القراءات - ت ٣٤٩ هـ (غاية النهاية ١ / ٤٧٥ ، بغية الوعاة ص ٣١٧) .

(٥) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، أشهر كتبه « الموطأ » - ت ١٧٩ هـ (الديباج المذهب ١٧ - ٣ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٣٩ ، تهذيب التهذيب ١ / ٥) .

(٦) محمد بن علي بن أحمد الأذفوى ، أبو بكر ، المصرى من أهل أذفو - بصعيد مصر الأعلى - نحوى مقرئ مفسر ثقة ، له مؤلفات ، منها « الاستغناء » فى علوم القرآن ، - ت ٣٨٨ هـ ، (بغية الوعاة ٨١ ، وغاية النهاية ٢ / ١٩٨) .

علوم القرآن » فيما نقله عن أبى غانم المظفر بن أحمد بن حمدان ^(١) . قال :
« القرآن محيط بجميع اللغات الفصيحة ، وتفصيل ذلك أن تكون هذه اللغات
السبع على نحر ما أذكره :

فأول ذلك تحقيق الهمز وتخفيفه فى القرآن كله ، فى مثل « يؤمنون » ^(٢) ،
وكـ « مؤمنين » و « النبيين » ^(٣) ، و « النسئ » ^(٤) ، و « الصابئين » ^(٥)
و « البرية » ^(٦) ، و « سأل سائل » ^(٧) ، وما أشبه ذلك ، فتحقيقه وتخفيفه
بمعنى واحد ، وقد يُفرَّقون بين الهمز وتركه بين معنيين ، فى مثل « أو ننسها »
من النسيان أو « ننسأها » ^(٨) من التأخير ، ومثل « كوكب درى »
و « درئ » ^(٩) .

ومنه إثبات الواو وحذفها فى آخر الاسم المضمر ، نحو « ومنهم أُميون » ^(١٠) .

(١) المظفر بن أحمد بن حمدان ، أبو غانم ، مقرئ مصرى ، نحوى له كتاب فى « اختلاف القراء
السبعة » ص ٣٣٣ هـ (غاية النهاية ١ / ٣٠١ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٣) .

(٢) تحقيق الهمز : المنطق بالهمزة ساكنة ، وتخفيفه : حذف الهمزة .

(٣) « النبيين » بتحقيق الهمز هى قراءة نافع ، و « النبيين » بتخفيفه هى قراءة الباقيين .

(٤) التوبة : ٣٧ - قراءة ورش رادى نافع بتشديد الياء من غير همز ، وقراءة الباقيين من
السبعة بالهمز (التيسير ص ١١٨) .

(٥) البقرة : ٦٢ ، الحج : ١٧ - بغير همز ، قراءة نافع (التيسير ص ٧٤) .

(٦) البينة : ٦ ، ٧ - قراءة خافع : « البرثة » بالهمز ، وقراءة الباقيين بغير همز وتشديد الياء
(التيسير ص ٢٢٤) .

(٧) المعارج : ١ - قرأ نافع وابن عامر « سال » بألف ساكنة (التيسير ص ٢١٤) .

(٨) « أو ننسأها » البقرة : ١٠٦ - بالهمز مع فتح النون والسين : قراءة ابن كثير وأبى عمرو
(التيسير ص ٧٦) .

(٩) النور : ٣٥ - بالهمز ، قراءة الكسائى فقط من السبعة (التيسير ص ١٦٢) .

(١٠) البقرة : ٧٨ - بواو موصولة بها (النشر ١ / ٢٧٣) .

ومنه أن يكون باختلاف حركة وتسكينها في مثل « غشاوة » و « غشوة » (١) ،
و « جبريل » (٢) ، و « ميسرة » (٣) ، و « البخل » (٤) ، و « سخرى » (٥) .
ومنها أن يكون بتغيير حرف نحو « ننشرها » (٦) و « يقض الحق » (٧) ،
و « نصفين » (٨) .

ومنه أن يكون بالتشديد والتخفيف ، نحو « يُبَشِّرُهُم » و « بَشَرُهُم » (٩) .
ومنه أن يكون بالمد والقصر ، نحو « زكرياء » و « زكريا » (١٠) .

-
- (١) الجاثية : ٢٣ - (النشر ١ / ٢٧٣) « الظنين » من الظن (التيسير ص ٢٢) .
(٢) البقرة : ٩٧ ، ٩٨ والتحريم : ٤ - قرئ « جبريل » و « جبريل » بفتح الجيم ،
و « جبرئيل » و « جبرئلا » بتشديد اللام (المحتسب ١ / ٩٧ ، و النشر ٢ / ٢١٩ ، وإتحاف
فضلاء البشر ١ / ١٤٤) .
(٣) البقرة : ٢٨ - ضم السين قراءة نافع (النشر ٢ / ٢٣٦) .
(٤) النساء : ٣٧ ، الحديد : ٢٤ - قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء والحاء (التيسير ص ٩٦) .
(٥) المؤمنون : ١١ - قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين ، وقرأ باقي السبعة بكسرها ،
والزخرف : ٣٢ - بضم السين عند الجميع (التيسير ص ١٦) .
(٦) البقرة : ٢٥٩ - قرأ الكوفيون وابن عامر : « ننشزها » بالزاي ، وقرأ الباقون بالراء
(التيسير ص ٨٢) .
(٧) الأنعام : ٥٧ - قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم : « يقص » بالصاد المهملة
المشددة ، وقرأ باقي العشرة تقض (النشر ٢ / ٢٥٨) .
(٨) التكوين : ٢٤ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ، والكسائي .
(٩) التوبة : ٢١ : « يُبَشِّرُهُم » بضم الأول وفتح الباء وكسر الشين مشدداً ، و « يَبَشِّرُهُم »
بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففاً (التيسير ص ٨٧ - ٨٨) .
(١٠) آل عمران : ٣٧ ، ٣٨ ، الأنعام : ٨٥ ، مريم : ٢ ، ٧ ، الأنبياء : ٨٩ - قرأ حمزة
والكسائي وخلف وحفص من غير همز في جميع القرآن ، وقرأ الباقون بالمد والهمز (النشر
٢ / ٢٣٩) .

ومنه أن يكون بزيادة حرف من « فعل » و « أفعل » مثل « فاسر بأهلك » (١) و « نسقيكم » (٢) .

واختار نحو هذه الطريقة فى تفسير الأحرف السبعة القاضى أبو بكر محمد بن الطيب فى كتاب « الانتصار » (٣) .



● الرأى الخامس فى المراد بالأحرف السبعة :

ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له ، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال فى هذا العدد ، فهو إشارة الى أن القرآن فى لغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله مع بلوغه الذروة فى الكمال ، فلفظ السبعة يُطلق على إرادة الكثرة والكمال فى الآحاد ، كما يطلق السبعون فى العشرات ، والسبعمئة فى المئين ، ولا يُراد العدد المعين ، والعرب يُطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمئة ولا يريدون حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ (٥) .

وإلى هذا جنح القاضى عياض (٦) ومن تبعه .

(١) هود : ٨١ ، الحجر : ٦٥ - من فعل الثلاثى : « فاسر » بوصل الألف ، وهى قراءة نافع وأبى جعفر وابن عامر - و « فأسر » بقطع الهمزة من أفعل الرباعى ، وهى قراءة الباقرين (النشر ٢٩٠ / ٢) .

(٢) النحل : ٦٦ ، المؤمنون : ٢١ - بفتح النون وهى قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وأبى بكر عاصم ، ويضمها وهى قراءة الباقرين سوى أبى جعفر لأنه قرأ بالتاء مفتوحة (النشر ٣٠٤ / ٢) .

(٣) انظر « المرشد الوجيز » ص ١١٧ - ١٢١ .

(٤) البقرة : ٢٦١ (٥) التوبة : ٨ .

(٦) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبى السبتي ، أبو الفضل ، عالم الغرب ، وإمام أهل الحديث فى وقته ، من تصانيفه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، و « شرح صحيح مسلم » - ت ٥٤٤ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣٩٢ ، والفكر السامى ٤ / ٥٨) .

قال أبو بكر بن العربي شيخ السهيلي^(١) . فى كتاب « شرح الموطأ » : « لم تتعين هذه السبعة بنص من النبى ﷺ ، ولا بإجماع من الصحابة ، وقد اختلفت فيها الأقوال ، فقال ابن عباس : اللغات سبع ، والسموات سبع ، والأرضون سبع - وعدد السبعات - وكان معناه أنه نزل بلغة العرب كلها »^(٢) .

ومال إلى هذا رأى كذلك جمال الدين القاسمى^(٣) فى مقدمة تفسيره « محاسن التأويل » وعزاه إلى السيوطى فى « الإلتقان » بما يوهم اعتماده إذ يقول : « ليس المراد بالسبع حقيقة العدد المعلوم ، بل كثرة الأوجه التى تُقرأ بها الكلمة على سبيل التيسير والتسهيل والسعة .. كذا فى الإلتقان ، والأظهر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة لا التحديد ، فيشمل ما ذكره ابن قتيبة وغيره ... »^(٤) .

وإليه ذهب مصطفى صادق الرافعى^(٥) فقال : « والذى عندنا فى معنى الحديث : أن المراد بالأحرف اللغات التى تختلف بها لهجات العرب ، حتى يوسع على كل قوم أن يقرءوه بلحنهم ، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف فى الكلام إلا اللغة ، وإنما جعلها سبعة رمزاً إلى ما ألفوه من معنى الكمال فى هذا العدد ، وخاصة فيما يتعلق بالإلهيات : كالسموات السبع ، والأرضين

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي - نسبة إلى سهيل من قرى مالقة - حافظ عالم باللغة والسير ، من كتبه « الروض الأنف » و « الإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام » - ت ٥٨١ هـ (وفیات الأعيان ١ / ٣٥١ ، وغاية النهاية ١ / ٣٧١) .

(٢) المرشد الوجيز ص ٩٧ ، وانظر الإلتقان ١ / ٤٥ ، والنشر ١ / ٢٦

(٣) جمال الدين بن محمد سعيد ، إمام الشام فى عصره صاحب محاسن التأويل - ت ٣٣٢ هـ

(٤) محاسن التأويل ١ / ٢٨٧ (الأعلام ٢ / ١٣١) .

(٥) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعى المصرى ، أديب شاعر من كبار الكتّاب ، له « ديوان شعر » و « تاريخ آداب العرب » و « إعجاز القرآن » وغير ذلك - ت ١٣٥٦ هـ (الأعلام ٨ / ١٣٧) .

السبع ، والسبعة الأيام التى بُرِّتَ فيها الخليفة ، وأبواب الجنة والجحيم ، ونحوها ، فهذه حدود تحتوى ما وراءها بالغاً ما بلغ ، وهذا الرمز من أَلطف المعانى وأدقها ، إذ يجعل القرآن فى لُغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله » (١) .

وبعض علماء اللُغة يرى أن عدد السبعة يدل على الكمال لأن السبعة جمعت العدد كله ، لأن العدد أزواج وأفراد ، والأزواج فيها أول وثان ، والاثنان أول الأزواج ، والأربعة زوج ثان ، والثلاثة أول الأفراد ، والخمسة فرد ثان ، فإذا اجتمع الزوج الأول مع الفرد الثانى ، أو الفرد الأول مع الزوج الثانى كان سبعة ، وكذلك إذا أخذ الواحد الذى هو أصل العدد مع الستة التى هى عند الحكماء عدد تام يكون منهما السبعة التى هى عدد كامل ، لأن الكمال درجة فوق التمام ، وهذه الخاصة لا توجد فى غير السبعة ، ولذلك يفصلون بينها وبين الثمانية بالواو ، فيقولون : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية وتسعة وعشر ... إلخ ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (٢) ويسمون هذه الواو « واو الثمانية » ، ذكر هذا أبو حيان وغيره (٣) .

وليس الأمر كذلك ، وإنما أفادت هذه الواو الإيذان بأن الذين قالوا إنهم

(٢) الكهف : ٢٢

(١) إعجاز القرآن ص ٦٨

(٣) أبو حيان النحوى : هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى الأندلسى ، من تصانيفه : « البحر المحيط » فى تفسير القرآن ، و « النهر » مختصر له - ت ٧٤٥ هـ (بغية الوعاة ص ١٢١ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٨٥) .

أما أبو حيان التوحيدي فهو على بن محمد بن العباس التوحيدي ، فيلسوف متصوف معتزلى - توفى نحو سنة ٤٠٠ هـ (بغية الوعاة ص ٣٤٨) .

سبعة تثبتوا من قولهم ، ولم يكن قولهم رجماً بالغيب كقول مَنْ سبقهم ، إنما كان عن علم « (١) .

يقول العكبرى (٢) فى دخول هذه الواو : « دخلت لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق ، وليس من جنس المقول برجم الظنون » (٣) .

ويقول الزمخشري (٤) : « فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ؟ ولم دخلت عليها دون الأوليين ؟ قلت : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة فى نحو قولك : جاءنى رجل ومعه آخر ، ومررتُ بزيد وفى يده سيف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (٥) ، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا : « سبعة وثامنهم كلبهم » ، قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرحموا بالظن كما رجم غيرهم ، والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله : ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ (٦) وأتبع القول الثالث قوله : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٧) وقال ابن عباس رضى الله عنه :

(١) انظر البحر المحيط ٦ / ١١٤

(٢) عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى البغدادى ، أبو البقاء ، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب ، من كتبه : « التبيان فى إعراب القرآن » ويسمى « إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن » ، و « اللباب فى علل البناء والإعراب » - ت ٦١٦ هـ (بغية الوعاة ص ٢٨١) .

(٣) التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٨٤٣

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشري ، جاز الله ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ، من كتبه : « الكشف » فى تفسير القرآن و « أساس البلاغة » و « المفصل » و « الفائق » فى غريب الحديث - ت ٥٣٨ هـ (وفیات الأعيان ٢ / ٨١) .

(٥) الحجر : ٤٢

(٦) الكهف : ٢٢

(٧) الكهف : ٢٢

حين وقعت الواو وانقطعت العدة ، لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها ، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلهم على القطع والثبات » (١) .

* * *

● الرأى السادس فى المراد بالأحرف السبعة :

قال جماعة : « إن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع ، وحكى هذا عن الخليل بن أحمد ، وأنه فسرَّ الحرف بالقراءة .

يقول الزركشى (٢) : « الثانى - وهو أضعفها - أن المراد سبع قراءات ، وحكى عن الخليل بن أحمد ، والحرف ههنا القراءة » (٣) ونقل هذا ابن عطية فيما حكاه القاضى أبو بكر بن الطيب : « قال القاضى : وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه ، وإلا بطل معنى الحديث ، قالوا : وتُعرف بعض الوجوه بمجئ الخبر به ، ولا يُعرف بعضها إذا لم يأت به خبر » (٤) .

* * *

الترجيح والمناقشة

● الرأى المختار :

والراجع من هذه الآراء جميعها هو الرأى الأول ، أى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب فى المعنى الواحد نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم ، وعجل ، وأسرع ، فهى ألفاظ مختلفة لمعنى واحد .

وهذا الرأى هو الذى ذهب إليه سفيان بن عيينة ، وابن جرير ، وابن وهب ، وغيرهم ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء كما سبق .

(١) الكشاف ٢ / ٥٥٧

(٢) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى عالم بفقهِ الشافعية والأصول ، تركى الأصل ، مصرى المولد - ت ٧٩٤ هـ (مقدمة البرهان ١ / ٥ ، والأعلام ٦ / ٢٨٦) .

(٤) المحرر الوجيز ١ / ٢٤

(٣) البرهان ١ / ٢١٤